الأصوليون وحداثات عربية أخرى

في لحظةٍ يعيش فيها العالم العربي حالةً من الاضطراب، يبدو من المناسب تقييم ما تبقّى من مشروع الوحدة العربية؛ وهو مشروعٌ سياسيٌّ ثقافيٌّ عابرٌ للحدود الوطنية، نشأ في أوائل القرن العشرين تزامنًا مع ولادة الحداثة في المنطقة.

ظهرت بواكير مشروع الحداثة ذاك بتأثيرٍ كبيرٍ من القوى الاستعمارية الأوروبية. وأخذت تتجسّد هذه المحاولات نحو الحداثة مع بدايات تطوّر الدول – الأمم الفتيّة. ولا بد من ذكر أن الدولة – الأمّة، وبالتالي مفهوم القومية، ظهرت في المنطقة عمومًا نتيجةً للاستعمار.

لكن سرعان ما راحت الأسس الأيديولوجية للمشاريع القومية تخسر حركتها، فأفسحت المجال لأشكالٍ أخرى من الأيديولوجيات الاقتصادية والاجتماعية – السياسية. وتزامن هذا مع استنفاد مشروع الحداثة في العالم العربي، وإفراغه من أهدافه الأصلية، وإتيانه بصورٍ متباهيةٍ لحداثةٍ مستوردةٍ على عمى ولا أساس لها أحيانًا.

يُمكن اعتبار هذا المعرض بمثابة قراءةً ذاتيةً وجزئيةً للإرث المعماري في العالم العربي على مدى الأعوام المئة الماضية. وتوازي هذه القراءة لمحةٌ موجزةٌ عن مختاراتٍ من الأحداث الاجتماعية – السياسية الحاصلة في تلك الفترة. وتتضمّن القراءة توثيقًا لمئة مبنى، معروضٍ كما هو، من دون ادّعاء أية أحكامٍ معماريةٍ نوعية. ويمكن رؤية بعض المباني المُقدّمة كتطبيقاتٍ ملهمة لمبادئ الحداثة، فيما يمكن اعتبار البعض الآخر تعبيرًا عن الميل إلى تبنّي الحداثة كتيّارٍ، بدلًا من تبنّيها كمشروع.

برنار خوري

ترجمه عن الإنكليزيّة لطفي الصلاح

IMAGE COURTESY OF DWS/ BERNARD KHOURY